892.78 GAMEAU, C.J.
892.78 GAM

A.U.B. LIBRARY

892.7
G44.7e
c.2

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

آلهة الأرض

وضعه بالانكليزية فقيد الشعر والفن

المرحوم جبران خليل جبران

تعريب

الأرشمندريت انطونيوس بشير

صاحب مجلة الخالدات

(الطبعة الاولى)

سنة ١٩٣٢

69059

المطبعة العصرية

بالفجالة ، بمصر — (ص ب ٩٥٤)

(Printed in Egypt.)

جميع الحقوق محفوظة للمعرب

وعند ما حلّتْ ليلةُ العصر الثاني عشر ،
وابتلع الصمتُ ، الذي هو مدٌّ بحر الليل ،
جميعَ التلال ،
ظهر الالهة الثلاثة ، المولودون في الأرض ،
وأسياد الحياة ، على الجبال .
فتراكضت الأنهار الى أقدامهم ،
وغمرت أمواج الضباب صدورهم ،
وارتفعت رؤوسهم بجلال فوق العالم .
ثم تكلموا ، فتموَّجَتْ أصواتهم ، كالرعد
البعيد فوق السهول

الاله الأول

ان الريح تهب شرقًا ،
فأريد أن احوّل وجهي نحو الجنوب ،
لأن الريح تملأُ مشامّي برائحة الأشياء الميتة .

الاله الثانى

هذه رائحة الأجساد المحترقة ، وهي لذيذة وسخيّة ،
وأنا أودّ ان أتنشقها .

الاله الأول

هي رائحة الميتوتة المحترقة على لهيبها الضئيل .
وهي تملأ دقائق الهواء بوفرة ،
فتزعج حواسّي كما يزعجها الهواء الفاسد في الهاوية .
ولذلك أريد أن احوّل وجهي الى الشمال الذي لا رائحة فيه .

الاله الثانى

انها العبير الملتهب للحياة المثمرة ،
وهي ما اود أن أتنشقه الآن وفي كل أوان .
انما تعيش الالهة على التضحية ،
وتبرّد غلّةَ عطشها بالدم ،
وتسكّن قلوبها بالنفوس الفتيّة ،
وتشدّدُ عزائمها بالتأوهات الدائمة التي تصعّدها أرواح القاطنين
في قلب الموت ؛
وعروشها مبنية على رماد الأجيال .

الاله الأول

قد سئمت روحي كل ما هو كائن .
فأنا لن أمدّ يداً لأخلق عالماً
ولا لأمحو عالماً من الوجود .
انني ما كنت لاعيش لو انني قادر أن أموت ،
لأن ثقل الأعصر كلها على كتفي .
وهدير البحر الذى لا ينقطع يستنفد كنوز نومي .
فياليت لي أن اخسر المطلب الأول ،
فأزول كالشمس الزائلة .
أود لو استطيع أن أجرّد الوهيتي من غايتها
لأنفخ أنفاس ميتوتتي في الفضاء ،
فلا أكون فيما بعد .
يا ليت لي أن احترق وامضي من ذاكرة الزمان ،
الى فراغ الازمان !

الاله الثالث

أصغيا يا اخويّ ، أصغيا أيها الشقيقان القديمان .
فان شاباً في ذلك الوادي

ينشد مكنونات قلبه في اذن الليل .
ان قيثارته من الذهب والأبنوس .
وصوته من الفضة والذهب .

الاله الثانى

انني لست مغروراً بهذا المقدار لأتمنّى أن لا أكون .
فأنا لا أقدر أن أختار إلا أصعب الطرق ،
لاتتبّع الفصول واعضد شوكة السنين ،
لأزرع البذور وأراقبها تنفذ الى قلب الأرض ،
لأدعو الزهرة من مخبأها واسلحها بقوة لتحضن حياتها ، ثم أعود فاقلعها عندما تضحك العاصفة في الغابة ، لأُنهضَ الانسان من الظلمة السرّية ،
ولكنني احفظ لجذوره حنينها الى الأرض ،
لأغرس فيه العطش للحياة ، واجعل الموت حامل اقداحه ،
لأعطيه المحبة النامية بالألم ، المتساميـة بالشوق ، المتزايدة بالحنين ، والمضمحلة بالعناق الاول .
لأُمنطق لياليه بأحلام الأيام العلوية ،
واسكب في أيامه رؤى الليالي المقدسة ،
ثم أحكم على أيامه وليالية بالمماثلة التى لا تتغير ،

لأجعل خياله كالنسر على الجبل ،
وأفكاره كعواصف البحار ،
ثم أعطيه يداً بطيئة في الحكم ،
وقدماً ثقيلة في التأمل ؛
لأمنحه مسرة ليترنم أمامنا ،
وكآبة ليلتجيء الينا ،
ثم اجعله وضيعاً عندما تصرخ الأرض في مجاعتها طالبة طعاماً ،
لأرفع نفسه عالية فوق الجلد
ليصير قادراً على مذاقة غدنا ،
واحفظ جسده يتمرغ بالحمأة
لكي لا يتناسى ذكر أمسه .
هكذا يليق بنا أن نحكم الانسان الى منتهى الزمان ،
مقيّدين النسمة التي تبدأ بصراخ أمه ،
وتنتهي بنواح أولاده .

الاله الأول

ان قلبي يحترق عطشاً ، بيد أنني لا أريد أن أشرب دماً ضعيفاً لجنس ضعيف ،
لأن الكاس ملطخة ، والعصير الذي فيها مرّ المذاق في فمي .

وأنا مثلك قد عجنت الطين وصنعت منه أشكالا متنفسة لم تلبث ان سقطت من بين أصابعي الى الاجام والتلال .

وأنا مثلك قد انرت الأعماق المظلمة لبداءة الحياة ،

وراقبتها تزحف من الكهوف الى الأعالي الصخرية .

أنا مثلك قد أحضرت الربيع ووضعت جماله ،

ليكون غواية تقبض على الشباب وترغمه على الانتاج والتكاثر .

أنا مثلك قد سرتُ بالانسان من مزار الى مزار ،

وحولت مخاوفه الصماء من الغير المنظورات الى ايمان مرتعش بنا من غير أن يرانا أو يعرفنا .

أنا مثلك قد جعلت العاصفة الهوجاء على رأسه ،

لينحني أمامنا ،

وزعزعت الأرض تحت قدميه حتى يصرخ الينا ،

ومثلك ، أثرتُ الاوقيانوس البربري فطغا على عش جزيرته ،

حتى مات في توسله الينا .

كل هذا فعلته ، واكثر منه .

وكل ما فعلته فارغ باطل .

باطلة هي اليقظة وفارغ هو النوم .

وثلاث مرات باطل وفارغ هو الحلم .

— الاله الثالث —

يا أخويَّ ، ان فى غابة الريحان تلك فتاة ترقص للقمر ،
وفى شعرها ألف نجمة من الندى ،
وحول قدميها ألف جناح .

— الاله الثانى —

أننا قد غرسنا الانسان ، كرمتنا ،
وفلحنا الأرض فى الضباب الارجواني للفجر الاول .
وراقبنا الاغصان النحيلة نامية ،
وغذينا الأوراق الفتية على ممر الايام والسنين التى لم تعرف الفصول
وحصَّنا البراعم ضد العناصر الغضوبة ،
وحرسنا الزهرة من تعدي الارواح المظلمة .
والآن ، وقد اخرجت كرمتنا عنبها ،
فانتم لاتحملونه الى المعصرة لتملأوا الاقداح .
فايّة أيد أقدر من أيديكم ستجمع الثمر ؟
وأي مطلب أنبل من عطشكم ينتظر الخمرة ؟
فالانسان طعام للآلهة .
ومجد الانسان يبتدىء عندما تمتص شفاه الالهة المقدسة نسمته
الهائمة على غير هدى .

كل ما هو بشرى لا قيمة له اذا ظل بشرياً ،
ان طهارة الاطفال ، ووجد الشباب اللذيذ ،
وهوى الرجولة العزومة ، وحكمة الشيخوخة الناضجة ؛
ان مجد الملوك ، ونصر المحاربين ،
وشهرة الشعراء وشرف الحالمين والقديسين ؛
كل هذه ، وكل ما تحمله فى ثناياها ، هو خبز للالهة .
وهي لن تكون الا خبزاً بغير بركة اذا لم ترفعها الالهة الى افواهها.
وكما ان حبة الحنطة الصمّاء تتحول الى أنشودة محبة عند ما يبتلعها البلبل ،
هكذا الانسان اذا كان خبزاً للالهة يتذوق الالوهية .

الاله الأول

نعم ، ان الانسان هو خبز الالهة !
وكل ما هو من الانسان سيأتي الى مائدة الآلهة الخالدة !
آلام الحمل ، وعذاب الولادة ،
صراخ الأطفال الذي يشق كبد الليل ،
وغمّ المرأة وهي تصارع النوم الذي تتوق اليه
لتسكب الحياة الذاوية من ثدييها .
الانفاس الملتهبة الخارجة من صدور الشباب المتقطعة ، والعبرات

المثقلة باحمال الاهواء التي لا تفتح خزائنها بعد . جباه الرجولة القاطرة عرقًا وهي تحرق الأرض الجـدباء ، وتحسرات الشيخوخة الذابلة ، عندما تدعو الحياة – ضد ارادة الحياة – الى القبر .

تأملوا هذا هو الانسان !

مخلوق يلده الجوع فيصير طعامًا للالهة الجائعة ،

وكرمة تزحف في تراب الأرض تحت أقدام الموت الذي لا يموت .

زهرة تزهر في ليالي الاشباح الشريرة ،

وعنبٌ لا ينضجُ إلا في أيام الدموع والرعب والعار .

وأنتم على رغم هذا كله تطلبون الي ان آكل واشرب ،

وترغبون الي أن اجلس بين الوجوه المكفنة ،

واستقي حياتي من الشفاه الصخرية ،

واقبل خلودي من الأيدي اليابسة !

الاله الثالث

يا اخوَيَّ ، أيها الاخوان الراعيان ،

ان الشاب يغني في اعماق الوادي ،

ولكن انشودته تتصاعد الى أعالي الجبال .

وهو يهز الغابة بصوته ، ويشقّ كبد السماء

ويبدّد أحلام الأرض

الاله الثانى

(يصم اذنيه دائماً)

ان النحلة تطنّ بغلاظة في اذنيك ،
والعسل مرّ المذاق في فمك .
انني أود أن اعزيك ،
ولكن أنّى السبيل الى ذلك ؟
فليس يصغي غير الهاوية عندما تخاطبُ الالهةُ الالهةَ ،
لأن الهوّةَ الفاصلة بين الالهة لا تحد ولا تقاس ،
والفضاء صامت لا ريح فيه .
ومع كل هذا أريد أن اعزيك ،
أريد أن اجعل دائرتك المتلبّدة بالغيوم نقية صافية ،
ومع اننا متساويان بالقوة والفهم ،
فانني أريد أن أُخلص لك النصح .

عندما خرجت الأرض من الخلاء ، ورأينا نحن ، أبناء البدء ، أحدنا الآخر في النور الذي لا عيب فيه ، حينئذ أصعدنا الصوت الخفيّ ، المرتعش ، الأول ، الذي انعش مجاري الهواء والماء .

ثم مشينا ، جنباً الى جنب ، على سطح العالم الفتيّ الشيخ ، ومن صدى خطواتنا البطيئة وُلدَ الزمان ، الاهاً رابعاً ، فاقتفى آثار

خطواتنا ، وأظلم بخياله أفكارنا ورغباتنا ، ولم يرَ إلا بنور عيوننا .

ثم جاءت الحياة الى الأرض ، وجاءت الروح الى الحياة ، وكانت الروح نغماً مجنّحاً في الوجود ؛ فحكمنا على الحياة والروح ، ولم يقدر أحدٌ غيرنا على معرفة مقاييس السنين ، وموازين الأحلام السديمية في الأعوام ، حتى جاءَ العصر السابع فزَفَفْنا في مدّ ظهيرته البحرَ عروساً للشمس .

ومن مضجع هذا الزواج المقدس أخرجنا الانسان ، الذي على رغم ضعفه وسقمه ، ما برح يحمل علامة والديه .

وبواسطة الانسان ، الذي يمشي على الأرض وعيناه في النجوم ، قد وجدنا طرقاً نافذةً الى أبعد الاصقاع النائيـة في الأرض ؛ ومن الانسان ، وهو القصبة الوضيعة النامية على المياه المظلمة ، قد صنعنا مزماراً نسكب من قلبه الفارغ صوتنا الى العالم الصامت في جميع أرجائه . ومن الشمال الذي لا شمس فيه ، الى رمال الجنوب المحترقة بالشمس ، ومن أرض عرائس النيل حيث تولد الأيام

الى جزائر الأخطار حيث تذبح الأيام ،

ترى الانسان الضعيف القلب ، يتشجع بغايتنا ،

فيغامر بالقيثارة والسيف .

فهو يذيع ارادتنا ،

ويعلن سيادتنا ،

والمجاري التي يطؤها بأقدام محبته هي أنهار سائرة الى بحر رغباتنا .
فنحن ، جالسين على أعالينا ، نحلم أحلامنا في نوم الانسان .
اننا نحثُّ أيامه لتفارق وادي الشفق البعيد ، وتَنشُد كمالها على التلال .
وأيدينا تسيّر العواصف التي تجرف العالم ،
وتحمل الانسان من السلامة العقيمة الى الجهاد المثمر ،
ومن ثَمَّ الى الانتصار .
وفي أعيننا بصيرة نيّرة تحوّل نفس الانسان الى لهيب ،
وتقوده الى وحدة رفيعة ونبوءَة ثائرة ،
ومن ثَمَّ الى الصلب .
فقد وُلد الانسان للعبودية ،
وبالعبودية شرفه ومكافأته .
بالانسان نطلب علامةً لما بنا ؛
وبحياته ننشد كمال ذواتنا .
فاذا أَخرسَ تراب الأرض قلب الانسان ، فأيُّ قلبٍ يستطيع أن يُرجّعَ صدى صوتنا ؟
واذا عميت عيون الانسان بظلمة الليل ، فمن يستطيع أن يرى لمعانَ مجدنا ؟

فماذا يجب أن نفعل بالانسان وهو ابن قلبنا الأول ، وهو صورتنا ومثالنا ؟

— الاله الثالث —

يا اخويّ ، أيها الاخوان القديران ،
ان قدميّ الراقصة الحسناء قد سكرتا بخمرة الانشاد ،
فأثارتا دقائق الهواء المرتعشة ،
وهي كالحمامة تحلق مرتفعة بجناحيها .

— الاله الأول —

القبّرة تنادي القبّرة ،
ولكن النسر يحوم فوقها ،
وهي لا تتوقف لتصغي الى الانشاد .
أنت تريد أن تعلن محبة الذات متكمّلةً بعبادة الانسان ، وراضية بعبودية الانسان .
ولكن محبة ذاتي لا حدّ لها ولا قياس .
فأنا أريد ان اسمو على ما يموت مني في الارض ،
واتخذ لي عرشاً في السماوات .
فامنطق الفضاء بذراعيّ ، واحيط بالافلاك .

وأريد أن اتخذ من المجرَّة قوسًا ،
ومن المذَّنبات سهامًا،
وباللانهاية أريد أن أحكم اللانهاية .
أما أنت فلا تريد أن تفعل هذا ولو كان في منالك .
فنسبة الانسان الى الانسان ،
هي كنسبة الآلهة الى الالهة .
وانت تريد ان تحمل الى قلبي التَعِبِ ،
ذكرى الادوار المنقضية فى الضباب ،
فى حين أن نفسي نشدت ذاتها بين الجبال ،
وعينيّ تعقَّبتا صورتهما فى المياه الهاجعة ،
ولكن عروس أمسي قَضَتْ نحبها فى أثناء ولادتها ،
فالصمت فقط يزور رحمها ،
والرمال التى تقذفها الرياح ترضع ثديها .
فيا أمسي ، أيها الامس المائت ، يا والد الوهيتى المقيَّدة ،
أيّ اله عظيم قبض عليك فى طيرانك ،
وارغمك على الولادة فى قفص ؟
واية شمس جبارة بعثت حرارتها فى بطنك لتلدني ؟
انني لا أباركك ، ولكنني لا ألعنك ؛
فكما انك اثقلت كاهلي بأحمال الحياة

هكذا أثقلتُ أنا كاهل الانسان .
بيد أنني كنت أقلّ قساوة منك .
فأنا ، الخالد ، قد جعلت الانسان ظلاً زائلاً ،
أما انت ، المائت ، فقد خلقتني خالداً .

فيا أمسي ، أيها الأمس المائت ،
هل تعود مع الغد البعيد ،
فأقودك الى المحاكمة ؟
وهل تستيقظ مع الفجر الثاني للحياة ،
فامحو ذاكرتك العالقة بالأرض من الارض ؟
أودّ لو أنك تقوم مع جميع الأموات القدماء ،
حتى تختنق الأرض بأثمارها المريرة ،
وتنتن جميع البحار بدماء المذبوحين فيها ،
ويستنزف الويل فوق الويل كل ما في الأرض من الخصب الذاهب عبثاً .

الاله الثالث

يا أخويّ ، أيها الاخوان القدّيسان ،
قد سمعت فتاتنا الأنشودة الساحرة ،
وهي تفتش الآن عن المرنّم .

وهي كالخشف ، في دهشة مسرّتها
ترقص فوق الصخور والجداول
فتديرها في جميع الجهات .
ما أجمل الغبطة التي ترافق المطالب المائتة ،
والعين التي تفتحها الغاية النصف المولودة .
ما أحلى الابتسامة المرتعشة لِما ستتمتع به من الغبطة الموعود بها !
أيّة زهرة تساقطت من السماء ،
أي لهيب ارتفع من الجحيم ،
فحمل قلب الصمت إلى هذا الفرح والخوف المقطع الانفاس ؟
أي حلم حلمناه على الأعالي ،
أيّ فكر بعثناه في الريح ،
فأيقظ غفلة الوادي
وفتح عيني الليل ؟

الاله الثاني

انك قد أُعطيتَ النول المقدس
وأُعطت الفن لحياكة الثياب .
فالنول والفن سيكونان لك إلى الأبد ،
وسيكون لك معهما الخيط الاسود والنور ،

ولك أيضاً الارجوان والذهب .
وانت مع كل هذا تحوك من نفسك ثوباً .
قد نسجت يداك نفس الانسان من الهواء الحيّ والنار ،
وأنت تريد الآن أن تقطع الخيط ،
وتطلق أصابعك الشعرية في الأبدية الخاملة .

الاله الاول

نعم نعم ، انني سأطلق يدي في الأبدية التي لم تُسبكْ في قوالبها بعد ،
وفي الحقول التي لم تطأها قدمٌ ساطلق قدميّ .
فأية مسرة لي في سماع الأناشيد التي طالما سمعها غيري ، التي تلتقط ذاكرة الأذن أنغامها قبل أن يسلمها النَفَسُ الى أمواج الهواء؟
أن قلبي يحنُّ الى ما لا يستطيع أن يتصوره ،
وأنا لن أرسل روحي الاّ الى عالم الغير المجهول الذي لا تقطن فيه الذاكرة .
بربك ، لا تجربني بمجد فارغ ،
ولا تطلب لي تعزية بأحلامك أو احلامي ،
لأن كل ما فيّ ، وكل ما في الأرض ،
وكل ما سيكون في الوجود ، لا يقدر أن يستهوي نفسي .
فيا نفسي ،

ان وجهك صامت ،
واشباح الليل نائمة في عينيك .
ولكن صمتك راعب ،
وانت راعبة .

الاله الثالث

يا أخوىّ ، أيها الاخوان الرصينان ،
ان الفتاة قد وجدت المرنم .
فهي تنظر وجهه المحبوب .
وهي كالنمر تتخطر بخطوات ساحرة
بين الدوالي والاسيجة المتموجة .
وهو ينظر اليها الآن في وسط أناشيد محبته .
أواه يا أخوىّ ، أيها الاخوان الغافلان ،
هل هنالك الاهٌ آخر يتألم وقد حاك من الآمه هـذا النسيج القرمزىّ والابيض ؟
أى نجم جامح قد أفلت هاربًا ؟
ومن يفصل الليل عن النهار بسره ؟
ومن يضع يده على عالمنا ؟

الاله الاول

يا نفسي ، يا نفسي ؛
أيتها الدائرة المحترقة التي تمنطقني بلهيبها ،
كيف أستطيع أن أقود سيرك ،
والى أيّ فضاء أدير شوقك ؟

يا نفسي التي لا رفيق لها ،
انك في مجاعتك تصطادين ذاتك ،
و بدموعك تريدين أن تبرّدي عطشك ،
لأن الليل لا يجمع نداه في أقداحك ،
والنهار لا يحمل اليك أثماره .

يا نفسي ، يا نفسي ،
أنت تحملين سفينتك الى الشاطىء وهي مثقلة بأحمال الرغبات .
فمن أين تأتي الرياح لتملأ شراعك ،
وأي مدّ فيّاض يقدر أن يحرّر دفّتك ؟
ان مرساتك حاضرة وجناحيك على أهبة الطيران ،
ولكن السماء صامتة فوقك ،
والبحر الهادىء يهزأ بسكونك .

فأي رجاء ثمت لي ولك ؟

وأي تقلب في العوالم ، أو تبدل في غايات السماء سيطلبك ؟
هل يحمل رحم عذراء اللانهاية زَرْعَ منقذك ،
ذلك الذي هو أقدر من أحلامك ،
وستنقذكِ يدهُ من عبوديتك ؟

الاله الثاني

احبسْ صُراخك اللجوج ،
وأنفاس قلبك الملتهب ،
لأن أُذن اللانهاية صماء ،
وغافلةٌ هي عين السماء .
فنحن كل ما وراءَ العالم وكل ما فوقه ،
وبيننا و بين الأبدية الغير المحدودة لا يوجد شيء
غير اهوائنا التي لم تتشكل وغاياتها التي لم تتكمل .
أنت تستهوي الغير المعروف ،
والغير المعروف ، المرتدي بالضباب المتحرك ،
انما يقطن في أعماق نفسك .
نعم ، في أعماق نفسك يضطجع منقذك نائمًا ،
وهو يرى في نومه ما لا تراه عيناك المستيقظتان .
هذا هو سرّ كياننا .

فهل تعرض عن جمع حصادك ،
لتلقي بذارك بعجلة في اثلام أحلامك ؟
وعلامَ تبسط سُحُبك في الحقول الخربة ،
في حين أن قطيعك يفتش عنك ،
وأنت عبثًا تجمع في خيالك ؟
فتأنَّ ، وامعن نظرك في العالم .
انظر الى أولاد محبتك الغير المفطومين .
ان الأرض هي مسكنك ، والأرض هي عرشك ؛
وفوق أرفع آمال الانسان تقبض يدك على قسمته .
أنت لا تريد ان تتركه —
وهو المجاهد أن يصل اليك بمسراته وآلامه .
وأنت لا تحول عينيك عن الحاجة التي في عينيه .

الاله الأول

هل يضمّ الفجر قلب الليل الى صدره ؟
أم هل يعبأ البحر بأجسام موتاه ؟
كالفجر تنهض نفسي في اعماقي —
عارية غير متحيّرة .
وكالبحر الذي لا يستريح —

يطرح قلبي عنه النفاية الزائلة من الأرض والانسان .
انني لن أعلق بكل من يعلق بي .
ولـكنني أريد أن اسمو الى ذلك المتسامي فوق ما تصل اليه قوتي .

الاله الثالث

يا اخويّ ، تأمّلا أيها الاخوان ،
ان روحين سائرتين الى النجوم قد اجتمعتا في الجوّ للحساب .
وهما تنظران الواحدة الى الأخرى بصمت وسكون .
ان المرنّم قد انقطع عن الغناء ،
ولـكن حلقه الذي حرقته الشمس يرتعش بالأناشيد ،
ورفيقته الراقصة قد سكن الرقص في أعضائها —
بيد انه لم ينم .
يا اخويّ ، أيها الاخَوان الغريبان ،
ان الليل يشتد ادلهامًا ،
والبدر يزدادُ اشراقًا ،
و بين الغابة والبحر —
تصرخ المحبة بأعلى الصوت تدعوكما وتدعوني الى قلبها .

الاله الثانى

يا لتفاهة الكيان ، والنهوض ، والاحتراق أمام الشمس الملتهبة ،
والحياة والمراقبة لليالي الاحياء —
كما تراقبنا عين الجوزاء !
يا لحقارة مجابهة الرياح الأربعة برأس مكلّل رفيع ،
وشفاء اسقام الناس بانفاس لا مدّ في بحرها !
ان الخيّام جالس يخبط خبط عشواء أمام نوله ،
والخزّاف يدير دولابه بعدم اكتراث ؛
أما نحن ، الذين لا ينامون ويعرفون كل شيء ،
فقد أُعتِقْنا من ظلمة الظن والتخمين .
فنحن لا نتردد ولا نمعن الفكر والنظر .
لأننا قد سمونا رفعة على جميع الأسئلة القَلِقَة .
فلنعش مطمئنين ، ولنطلق طيور أحلامنا من أقفاصها .
وكالانهار فلنسكب في البحر —
من غير أن تديرنا حافات الصخور ؛
فاذا بلغنا قلب اللجة ، وابتلعتنا أمواجها ،
انقطعنا عن المجادلة والتأمل في مصير الغد ، الى الأبد .

الاله الأول

أفٍّ من ألم هذا التكهّن الذي لا ينقطع ،
وهذ السهر السائر بالنهار الى الشفق ،
والذاهب بالليل الى الفجر ؛
أفٍّ من هذا المدّ الذي يحملنا الى الذكرى الدائمة ،
والنسيان الدائم ،
وهذا الزرع المتواصل لبذار الاقدار التي لا نحصد منها غير الآمال ،
وهذا الرفع الغير المتغير للذات من التراب الى الضباب ،
لتحنّ الى التراب ، ثم تسقط بحنينها الى التراب ،
ثم لا يلبث أن يتضاعف حنينها فتنهض ناشدةً الضباب ثانية .
أفٍّ من هذا القياس الذي بغير أوانه للزمان الذي لا يتغير .
وهل تحتاج نفسي الى أن تصير بحراً تزعج مجاريه بعضها بعضاً الى الأبد ،
أو جوًّا تتحول فيه الرياح المتحاربة الى زوبعة ؟
لو كنت رجلا ، لو كنت عبيراً أعمى ، —
لكان في طوقي الصبر على كل هذا .

أو لو كنت الاله الأعلى ، الذى يملأُ فراغ الانسان والالهة ، لكنت أكتفي بذاتي .

ولـكن أنا وأنت لسنا بشراً ،

ولا نحن بالعليّ الذي فوقنا .

ولـكننا أشفاق (جمع شَفَق) لا تنقطع عن الظهور والزوال من أفق الى أفق .

وآلهة تمسك بالعالم ويمسك العالم بنا .

وقد قضي علينا أن ننفخ بالأبواق ،

ولـكن الروح النافخة والموسيقى الخارجة من أبواقنا ليست منا بل تأتي من فوقُ .

لذلك تراني أرغب في الثورة .

أريد أن استنزف ما بي حتى اصير فارغًا .

أريد أن أبتعد عن بصيرتك ،

أريد أن أختفي من ذاكرة هذا الشاب الصامت ، الذي هو أخونا الأصغر ، الجالس قريبًا منا يتأمل في ذلك الوادي ،

ومع ان شفتيه تتحركان فهو لا ينطق بكلمة .

﴿ الاله الثالث ﴾

انني أتكلم ، أيها الاخوان الغافلان ،

انني أتكلم بالحقيقة ،
ولكنكما لا تسمعان غير حديثكما .
أطلب اليكما أن تنظرا مجدكما ومجدي ،
بيد انكما تتحولان ، وتطبقان أجفانكما ،
وتهزّان عرشيكما .
فيا أيها الحاكمان الراغبان في السيادة على العالم العلوي والعالم السفليّ ،
أيها الألهان الأنانيّان اللذان لا ينقطع أمسهما عن حسد غده ،
أيها التَعِبَان من أثقال ذاتكما ، المهدّثان حدة غضبكما بالكلام ،
والضاربان محاجرنا بالصواعق !
ليست مخاصمتكما سوى صوت القيثارة القديمة —
التي نسيت أصابع القدير نصف الضرب على أوتارها —
ذلك الذي الجوزاء عودُهُ والثريّا صنُوجُه ،
وهو حتى في هذه الساعة التي تتمتمان وتدمدمان فيها يضرب على عوده وصنوجه ،
فالتمس منكما أن تصغيا الى انشودته .
— انظرا ، رجلاً وامرأةً ،
— لهيباً على لهيب ؛
— يذوبان وجداً وهياماً .

جذور ترضع ثدي الأرض الارجواني ،
وزهور من نار على صدر السماء .
ونحن الثدي الارجواني ،
ونحن السماء الباقية .
ان نفسنا ، التي هي نفس الحياة ، نفسكما ونفسي ،
انما تقيم الليلةَ في حلقٍ ملتهب ،
مجللة جسم فتاةٍ طاهرة بثوب من الأمواج الثائرة .
ان صولجانكما لن يغيّر هذه القسمة المعدة لنا ،
وهمومكما هي الطموح بعينه .
لأن هذا جميعه سيمحى من الوجود في هوى الرجل والمرأة .

(الاله الثانى)

وما شأن هذه المحبة بين الرجل والمرأة ؟
تأمل كيف ترقص الريح الشرقية بقدميها الراقصتين ،
وتنهض الريح الغربية مترنمة بأنشودته .
انظر الى محجتنا المقدسة جالسة على عرشها الآن ،
باستسلام روح تغني إلى جسد يرقص .

(الاله الأول)

انني لن أحوّل عيني الى وهم الأرض ،
ولن انظر الى أولادها في ألَمهمْ البطيء الذي تسميه محبة .
وما هي المحبة ،
سوى طبل مُقَنّع يقود موكبًا طويلاً من الريْب اللذيذ ، الى شكل آخر من الألم البطيء ؟
انني لا أريد أن أنظر إلى هذا الوهم .
وأي شيء تراه هناك —
إلاَّ رجلاً وامرأة في الغابة التي نَمَتْ لتصطادهما في فخاخها ،
وتعلمهما أنكار الذات —
وولادة المخلوقات لغدنا الذي لم يولد بعد ؟

﴿ الاله الثالث ﴾

أفّ من الألم الذي تولده المعرفة .
والقناع المظلم الذي وضعــه تفحّصنا وتساؤلنا على وجه العالم ،
والاستنهاد الذي نوجهه في كل ساعة للصبر البشري !
فنحن نضع تحت حجرٍ شكلاً من الشمع
ثم نقول ، أنه شكل من الطين ،

فليجدْ في الطين آخرته .
ونمسك بأيدينا لهيباً أبيض ،
ثم نقول في قلوبنا ،
انه عبير ذواتنا يرجع الينا ،
ونسمة نسمتنا الفالتة منا ،
و بعد ذلك نعمد مفتشين في أيدينا وشفاهنا عن المزيد من العبير.
فيا اخوتي ، آلهة الأرض
أننا وان كنا في أعلى الجبل ،
فنحن ما زلنا نسير إلى الأرض –
بواسطة الانسان الراغب في الساعات الذهبية التي في نصيب أخيه الانسان .
فهل تسلبُ حكمتنا الجمال من عينيه ؟
أم هل تخضع مقاييسنا أهواءه فتحملها إلى السكون ، أو تقودها إلى مستوى أهوائنا ؟
ماذا تقدر أن تصنع جيوش أفكاركم –
حيث تجتمع المحبة بجيوشها الجرارة ؟
ألا ان الذين غلبتهم المحبة ،
وسارت بمراكبها فوق أجسادهم من البحر الى الجبل ،
ومن الجبل الى البحر ،

يقفون الآن وفي كل أوان متعانقين بحياء ووقار .
باجتماع أوراق زهور محبتهم يتنشقون عبير الحياة المقدس ،
وباتحاد نفوسهم يجدون نفس الحياة ،
وعلى أجفانهم ترتسم صلاة مرتفعة الينا .
المحبة هي ليل مُنحنٍ بوقار تحت خيمة مقدسة ،
وسماء قد تحولت إلى غابة ؛
بل هي جميع النجوم قد تحولت الى حباحب .
نحن بالحقيقة كل ما وراء العالم وكل ما فوقه .
ولكن المحبة أبعد من ان تصل اليها أسئلتنا —
واسمى من أن تبلغ اليها أنشودتنا .

—٥(الاله الثانى)٥—

أتطلب دائرةً بعيدة ،
ولا تهتم بهذا الكوكب الذي غرست فيه عزيمتك ؟
ليس في الفضاء مركز إلا حيث تزفّ النفس الى النفس ،
ويكون الجمال شاهداً وكاهناً .
فتأمل وانظر الجمال مبعثراً حول أقدامنا ،
تأمل جيداً كيف يملأ الجمال أيدينا لينزل العار بشفاهنا .
أن الأبعد هو الأقرب .

وحيث يكون الجمال ، يكون كل شيء .

— أواه أيها الأخ الحالم الرفيع ،

ارجع الينا من عهد أرض الكآبة القاتمة !

حرّر قدميك من اللامكان واللازمان ،

واقطن معنا في هذه الطمأنينة الآمنة —

التي ابتنتها يداك وأيدينا حجراً فوق حجر .

انزع عنك ثوب خفقان قلبك ،

وكن رفيقًا لنا في السيادة على هـذه الأرض الفتيّة الحارّة بجلال خُضرتها .

— الاله الأول —

أيها المذبح الخالد !

هل تريد بالحقيقة الهًا لضحيتك في هذه الليلة ؟

إذن فأنا قادم ، و بقدومي أقرّب محبتي وألمي .

هنالك تقف الراقصة ؛ التي نُحتَتْ من شوقنا القديم ،

والمرنم يصرخ بأناشيدي في أمواج الريح .

وفي ذلك الرقص ، وفي ذلك الانشاد —

يموت اله قدير في أعماقي .

ان اله قلبي القاطن وراء ضلوع بشريتي ينادى اله قلبي المقيم في الهواء.
والهاوية البشرية التى طالما عطلت عليَّ راحتى تصرخ الى الالوهية.
والجمال الذى نشدناه منذ البدء يصرخ الى الالوهية .
وفي اصغائي قد قست هذا الصراخ ،
وها أنا أسلم سلاحي .
فالجمال طريق يؤدى الى الذات المقتولة بيدِ ذاتها .
فاضرب اوتارك .
انني مستعدّ للسير على الطريق .
فهي تمتد الى فجر آخر .

الاله الثالث

قد انتصرت المحبة .
سواء أكانت المحبة بياضًا ناصعًا أو خضرة زاهية بجانب بحيرة ،
او كانت جلالا وفخاراً في القباب الرفيعة ، أو كانت في بستان حافل بالناس ، أو في صحراء لم تطأها قدم الانسان ،
— فالمحبة هى ربنا ومعلمنا في كل حال .
— فهى ليست بالشهوة الزائلة في الجسد .
ولا هي فُتاتُ الرغبة المتساقط من مصارعة الرغبة للذات ،
كلا ، ولا هى بالجسد الحامل سلاحه على الروح .

لأن المحبة لا تعرف الثورة .
ولكنها تهجر طريق الاقدار القديمة لتسير إلى الغاية المقدسة ،
لترقص وتترنم بأناشيد أسرارها فى آذان الابدية .
المحبة شباب قد تحطمت قيوده ،
ورجولة قد تحررت من عناء الارض ،
وانوثة حارة بلهيب مقدس ،مشرقة بنور سماء أبهى من سمائنا .
المحبة ، ضحك بعيد فى أعماق الروح .
المحبة ،حملة قديرة تسير بك الى يقظتك .
المحبة ، فجر جديد على الارض ،
ويوم لم تصل اليه لا عينك ولا عينى ،
ولكن المحبة قد وصلت الى قدس اقداسه بقلبها الأعظم .
يا أخوىّ ، يا أخوى ،
ان العروس قادمة من قلب الفجر .
لتلاقي عروسها القادم من الغروب .
وسيكون عرسٌ في الوادى ،
ويومٌ أعظم من أن تدوّن حوادثه .

الاله الثانى

هكذا كان منذ أطلق الصباحُ الاولُ السهولَ

الى التلال والأودية ،
وهكذا سيكون الى مد المساء الأخير .
ان جذورنا قد أنبتت الاغصان الراقصة في الوادى ،
ونحن أزهار عبير الانشودة المرتفعة الى الأعالي .
فالخالد والمائت نهران توأمان يناديان البحر بغير انقطاع .
وليس بين النداء والنداء فراغ قط ، إلا في الاذن .
فالزمان يزيد أصغاءنا ثقة ،
و يضيف الى رغباته .
ولا يخرس الصوت في المائت الغير المرتاب .
أما نحن فقد تساميا على الشكوك .
فالانسان هو ابن قلبنا الأصغر .
الانسان اله يرتفع الى الوهيته ببطء شديد ،
و بين مسرته وألمه ننام ونحلم أحلامنا .

(الاله الأول)

دع المرنم يترنم ، والراقصة تحرّك قدميها ،
ودعني أطمئن هنيهة .
ان نفسي تريد أن تستريح الليلة .
فقد يغلبني النوم ،

وفي نومي أرى عالمًا اكثر نوراً من هذا العالم ،
فتأتي مخلوقات أبهى من مخلوقاتنا فتسترق طريقها الى فكري .

الاله الثالث

انني أنهض الآن فاجرّد نفسي من حدود الزمان والمكان ،
وارقص في ذلك الحقل الذي لم تطأه قدما انسان ،
وستتحرك قدما الراقصة مع قدميّ ،
وسأترنم في ذلك الملأ الأعلى ؛
وسيختلج صوت بشري مع صوتي .

سنعبر الى الشفق البعيد ،
فقد نستيقظ في فجر عالم آخر .
ولكن المحبة باقية ،
ولن تمحى آثار أصابعها .

ان الكور المقدس متأجج بالنار ،
وكل شعلة تصعد منه هي شمس محترقة .
فالأجدر بنا ، والأحكم لمصلحتنا —
أن نفتّش عن قرنة صغيرة فننام في الوهيتنا الأرضية ،
.. تاركين أمر قيادتنا الى اليوم المقبل ، الى المحبة البشرية الضعيفة.

انتهى الكتاب

وقد مات مؤلفه بعد
طبعه بأسبوع واحد .
رحمه الله ونفعنا
بنبوغه الخالد .

A. *

B. *

بشير ،انطونيوس (الارشمندريت)
الهة الارض
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01047467

892.78
G447a74
C.2